آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة : العددان السابع والعشرون والثامن والعشرون - رمضان ١٤٢٠ هـ - كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠ م

■ مصحف شريف كتب في القرن التاسع

A COPY OF THE HOLY QURAN

written in the 9th century A. H.

ملاحظات حول الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ

الدكتور/ سلامة محمد الهريفي البلوي
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
دبي - الإمارات العربية المتحدة

إنَ علم التاريخ علمٌ مشوَق ، تهواه النفوس وتميل إليه ؛ لأنه يتحدث عن تجربتها عبر تاريخها الطويل ، ويمدَها بمعينٍ لا ينضب من التجارب والخبرات التي تجعلها أكثر وعيًا لحاضرها ، وأكثر استيعابًا وادراكًا لعوامل القوة وعوامل الضعف في مسيرتها المتجددة. فكلما تمكَنت البشرية من فهم تاريخها وسبر غور سيكولوجية مسيرتها نضجت قوانينها وتطوَرت نظمها ، وخبت نار الحرب ، واتَقدت مصابيح الرحمة والعدل ، وتفيَأت البشرية في ظلال العدل ، الذي يثمر السعادة والخير والنماء، وعلى النقيض من ذلك ، فكلما أخفقت البشرية في فهم تاريخها واستيعاب تجاربها الماضية، تكرَرت أخطاؤها ، وفقدت رشدها ، وحلَت قوانين الغاب بين ظهرانيها ، فيأخذ قويَها يفترس ضعيفها في ظلّ تشريعاتٍ يُغذيها حبَ السيطرة ، وأنانيَة التملّك ، اللذين يقضيان في العادة إلى الصراع الدامي، الذي يفقد البشرية إنسانيتها وأمنها وسعادتها.

لقد استُغلّ التاريخ أبشع استغلال من قبل سادة الحروب، ومن قبل المذاهب المختلفة، وغدا بمنزلة حصان طروادة، يستخدمه كل صاحب فكر لترويج فكره، أو لهدم فكر غيره ومحاربته.

إنّ علم التاريخ اليوم يعدّ من أعقد العلوم الإنسانية دراسة؛ كيف لا؟ وهو يهدف إلى سبر غور التجربة الإنسانية، بهدف توجيه المسيرة الفكرية للإنسانية؛ لذا ليس مستغرباً أن نرى تنامي الاهتمام بهذا العلم من قبل الدول المتقدمة، التي أدركت أهميّة التاريخ ودوره في إنارة الطريق أمامها في أثناء رسم سياستها تجاه دول العالم، فنجدها تؤسّس مراكز البحوث المتخصصة في الدراسات التاريخية، وتنفق عليها بسخاء، وتشجعها بكلّ الوسائل.

ومن الملاحظ أن النداءات تتوالى والصيحات تتعالى في الدول المتقدمة لمزيدٍ من الفهم لتاريخ الشعوب الأخرى كلما حدثت أزمة من الأزمات في المناطق التي لها فيها مصالح، وبخاصّة مناطق الشرق الإسلامي. ذلك الشرق الذي انبثقت منه قناديل التوحيد، وحمل بين أحشائه دماء الحضارة المعاصرة (النّفط) الذي ينقل إلى دول الغرب المتقدم

عبر حبلٍ سرّي يُحاط بكل رعايةٍ وحماية، بل إنّ تلك الدول على استعداد أن تقدّم الغالي والنفيس من أجل حمايته.

فعندما تفجرت الثورة الإيرانية، واشتعلت حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق، وبعدها حرب الخليج الثانية، وبعد كل صدامٍ بين العرب وإسرائيل، وجدنا ازدياد الاهتمام الغربي، بل كل دول العالم، التي لها مصالح في الشرق الإسلامي، بالملف التاريخي؛ لمعرفة كنه هذه الأحداث وانعكاساتها على مستقبل المنطقة، ومن أجل وضع الاستراتيجية المناسبة للتعامل مع تلك البلدان التي أفرزت تلك الأحداث؛ لتضمن تلك الدول ديمومة مصالحها وحمايتها من الاهتزاز والاضطراب.

أما دول العالم الثالث، ففي الغالب الأعمّ، لا تعدو نظرتها للتاريخ تتجاوز كونه مجموعة من القصص والأخبار التي تصلح للترويح والتسلية، أو أنه – في أحسن الأحوال – مستودعٌ زاخر بالمعلومات التي يمكن استخدامها في المنافرات(١) بين الدول المتجاورة، المتناحرة، بل إنّ قسمًا من دول العالم الثالث حاول الانسلاخ عن الماضي والذوبان في تاريخ الغرب المتقدّم، فأصيبت تلك الدول بحالة ذهان وانفصام، فلا فهمت تاريخها ولا استفادت من تجاربه لتعزّز هويتها، وتبلور شخصيتها بين أمم الأرض، ولا استوعبت تاريخ الآخرين، ولا أخذت منه ما يفيدها في مسيرتها؛ فبقيت متحجرة في دائرة التخلف التي رسمت لها، تشكو من التصدّع والتفكّك الذي يهدّد هويتها ومستقبلها الحضاري.

أجل إن اكتشاف قدرات أمّة من الأمم، وتمكينها من المعاصرة والحركة صوب المستقبل، واستجابتها للتحدّيات والتفوّق عليها لا يتحقق إلاّ بالرجوع إلى التاريخ، وكشف النقاب عن معطياته وملامحه ومؤشراته(٢)؛ فهو بحق سياسة الماضي التي تساعدنا على استيعاب الحاضر وفهمه والتخطيط المبصر للمستقبل(٣).

إن هذه الدراسة محاولة متواضعة تحاول تسليط الضوء بشكلٍ عامّ على موضوع يشغل بال العديدين من المشتغلين في الدراسات التاريخية، نعني الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ، فقد كتب العديد من الدراسات حول هذا الموضوع، وقد رغبت هذه الدراسة في محاورة تلك الدراسات ومناقشتها من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلين الآتيين:

س١: ما جذور الدعوة لإعادة كتابة التاريخ؟

س٢: لماذا أخفقت معظم الدعوات الداعية لإعادة كتابة التاريخ، وبخاصة الدعوات التي انطلقت في الوطن العربي؟

جذور الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ

إنّ البدايات الأولى للدعوة لإعادة كتابة التاريخ تعود إلى الغرب، وبالتحديد إلى المدة الواقعة ما بين القرنين الخامس والثامن عشر للميلاد، حيث كان الفكر اللاهوتي هو المسيطر والموجه للعقل الأوربي، ذلك الفكر الذي ألغى فاعليّة الإنسان اعتقادًا منه أنه يتقرّب بذلك إلى الرب، وينال الحظوة عنده(٤).

لقد شلّ الفكر اللاهوتي فعالية الإنسان، ومن ثمّ ألغى السنن الكونية التي يرتبط بها ويتعامل معها، وهو يحقّق كينونته الحضارية؛ لذا ليس مستغربًا أن نقرأ أن ملك فرنسا، لويس الحادي عشر، ينفق ميزانيّة دولته على رجال الكنيسة في محاولة لكسب رضا السيدة العذراء وحمايتها؛ لإيمانه العميق بأنها هي التي تحقّق له الانتصارات(٥).

وكردة فعل لهذا الإسراف اللاهوتي في تجريد الإنسان من دوره وفعاليّته في الأرض، ظهرت الفلسفات التي تتمحور حول الإنسان، وتهمّش أو تُلغي فاعليّة الله في التاريخ، وهكذا بدأت صيحات رجال الفكر الغربي تتعالى لإعادة كتابة التاريخ الغربي بمعزلٍ عن التصوّر اللاهوتي، انطلاقًا من الإنسان المتفاعل مع الإنسان والزمان والتراب. ولكن ما كان لهذه الصيحات أن تلقى آذانًا صاغية لولا

جهود الباحثين الذين نذروا أنفسهم للعلم ومحاربة الجمود، فقدّموا عشرات الأدلة الماديّة على زيف التفسير اللاهوتي للتاريخ، بل فساد أخلاق المؤسسة الدينية من القمة إلى القاعدة، إضافةً إلى كشف كذب رجال الدين وتزويرهم الحقائق(٦).

لقد استغل رجال الفكر في الغرب فضائح المؤسسة الدينية، التي أخذت تزكم أنوف الأوربيين في التمهيد للثورة على الكنيسة من خلال تقديم مزيدٍ من الأدلة على فساد رجال الدين واحتيالهم، ففجر لورنزوفلا (Leronzo Volla))(٨٠٩ - ٨٦٢هـ = ١٤٠٦ - ١٤٥٧م) قنبلته عن منحة قسطنطين، التي تسلّح بها بابوات روما في الجمع بين السلطتين (الروحيّة والسياسيّة)، فكانت الشعرة التي قصمت ظهر رجال الكنيسة؛ إذ بيّن هذا الباحث أن بابوات روما زيّفوا هذه الوثيقة، فأحدث ذلك دويًّا في العقل الأوربي الذي كان ينظر لتلك الوثيقة طوال خمسة قرون على أنها حقيقة مُسَلَّمٌ بها لا تقبل الجدل والنقاش(٧).

ثم جاء مارتن لوثر (Martin Luther) (٨٨٨ - ٩٥٣هـ = ١٤٨٣ - ١٥٤٦م) الذي يمثل فكره أكبر حركة انقلابية في الفكر المسيحي؛ إذ قامت على أفكاره البروتستانتيّة(٨)، التي آمنت بروح النقد، ودعت إلى إعمال العقل في كل القضايا الدينية.

لقد دعا لوثر إلى إعادة صياغة التاريخ، بل كل الفكر الغربي من جديد انطلاقًا من إعمال العقل في كل قضاياه، فكان لآرائه تلك أعمق الأثر في عقليّة المثقفين الذين كانوا يتابعون رسائله الموجّهة إلى نقد صكوك الغفران(٩)، التي كان من خلالها يبثّ أفكاره في نقد رجال اللاهوت، فقلّ بالفعل الإقبال على شراء تلك الصكوك(١٠).

وتوالت الدراسات التي تدعو إلى إعادة صياغة الفكر الغربي بمعزلٍ عن الدين ورجال اللاهوت، فظهر المصلح الهولندي أرزم (٨٧٤ - ٩٤٣هـ = ١٤٦٩ - ١٥٣٦م)، وزونجلي (٨٨٩ - ٩٣٨هـ = ١٤٨٤ - ١٥٣١م) في سويسرا، وكالڤن (٩١٥ - ٩٧٢هـ = ١٥٠٩ - ١٥٦٤م) في فرنسا، وكلهم دعوا إلى ما دعا إليه لوثر، مؤكدين أنه لا أساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم الكنيسة(١١).

وتُوِّجت حركة النقد تلك بظهور كتاب (الأمير) لميكافيللي (٩٢٢هـ = ١٥١٦م) الذي دعا فيه إلى إلغاء دور الله في التاريخ؛ لأن التاريخ في تصوّره يمضي بطريقةٍ ميكانيكية فيزيائية(١٢).

وما إن جاء القرن الثامن عشر الميلادي حتى تحوّل النقد لرجال الدين إلى ثورة على كلّ ما يمتّ لهم وللدين بصلة، فصرّح المفكر الإيطالي جيوفاني باتستافيكو (١٠٧٩ - ١١٥٧هـ = ١٦٦٨ - ١٧٤٤م)، دون تحفّظ، بأن الدين لا يتعدّى ميثولوجيا ملفقة وهمية، تستجيب لتحديات معيّنة، بل إنّ ڤولتير (١١٠٦ - ١١٩٢هـ = ١٦٩٤ - ١٧٧٨م)، في كتابه (مقبرة التعصّب)، عدّ الإنسان الذي يعتنق دينه دون إعمال العقل والفكر فيه بمرتبة البهائم، فقال: «إنّ من يعتنق دينه من غير تفكير - شأن السواد الأعظم من الناس - كالثور الذي يستسلم للنّير، ويحمله راضيًا»(١٣).

وأدّت هذه الفِكَر دورها في تحريك الشارع الأوربي، الذي خرج بثورته الشهيرة (الثورة الفرنسية) عام ١٢٠٤هـ = ١٧٨٩م، التي أعلنت شعار الحرية والإخاء والمساواة في ظلّ العلم والعقل، بعيدًا عن سلطان الدين(١٤)، ثم زاد الأمر خطورةً بظهور الفلاسفة الماديّين، أمثال هيجل (١١٨٤ - ١٢٤٧هـ = ١٧٧٠ - ١٨٣١م)، وكارل ماركس (١٢٣٤ - ١٣٠١هـ = ١٨١٨ - ١٨٨٣م)، وأنجلز (١٢٣٦ - ١٣١٣هـ = ١٨٢٠ - ١٨٩٥م)، وغيرهم من الذين قدّسوا العقل والعلم على حساب الدين، الذي عدّوه نسيجًا من الإثباتات الباطلة القائمة على العته التي قضى العلم ببطلانها، والعلم وحده هو الذي يقودنا إلى الحقيقة(١٥).

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى بدأ التاريخ الغربي يقدّم صورة جديدة تتركز حول الإنسان الفاعل الموجّه من العقل والعلم.

ومنذ مطلع القرن العشرين أخذت الموضوعية في مناهج البحث الغربيّة تعني في إحدى صورها مناقشة القضايا التاريخية وغيرها بمعزلٍ عن التصوّر الديني، بل إن هذا القرن شهد مزيداً من الدراسات الجريئة التي تثبت أنّ الكتاب المقدّس لا يثبت أمام النقد العلميّ؛ فقد أعلن مئتان من كبار أساتذة الجامعات الأمريكية في مؤتمر عُقد في كاليفورنيا خلاصة أبحاثهم التي استمرت ست سنواتٍ حول الإنجيل: أنّ ٢٠٪ فقط من الأقوال المنسوبة للسيّد المسيح يمكن الوثوق بها، وما خلاها لا أصل له. وأيّد هذه النتيجة لفيفٌ من علماء اللاهوت الإنجليز من خلال كتابٍ صدر وتُرجم إلى اللغة العربية بعنوان (المسيح ليس إلهًا)(١٦)، ثم تلا ذلك كتاب الفيلسوف الفرنسي موريس بوكاي (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، الذي انتهى إلى الجزم بعدم أصالة نصوص الكتب المقدسة، وتعارضها مع العلم الحديث، مع إقراره في الوقت نفسه بأنّ النصوص القرآنية لا تتعارض ولا تتناقض مع العقل والعلم(١٧).

فإذا كان هذا واقع الكتاب المقدس، فلا جرم أن يقع أكثر منه في التاريخ البشري، الذي سيطر على كتابته رجالُ اللاهوت ردحًا من الزمن، هذه النتيجة التي وصل إليها علماء الغرب جعلتهم أكثر اقتناعًا بضرورة إعادة كتابة التاريخ وفق منهجية تقدّس العقل، وترفض ما يعارضه، أو بعبارةٍ أخرى كتابة التاريخ بمعزلٍ عن فعاليّة الله. فالصراع قد حُسم بانتصار العقل والعلم على الله على حدٍّ زعمهم(١٨).

اتجاهات كتابة التاريخ في الغرب في القرن العشرين(١٩)

بعد أن حسم مفكرو الغرب موقفهم من الدين أخذوا يطالبون بصياغة التاريخ الغربي على ضوء الأدلة الماديّة، وأخذ يتردد في أوساط المشتغلين بالدراسات التاريخية أنّ التاريخ يُعنى بدراسة الماضي على ضوء ما هو موجود من مخلّفات ماديّة بمفهومها الواسع؛ لذا نشط علم الآثار، وتطوّر البحث في المخطوطات، فأنشئت دور الوثائق والمحفوظات، واستُغلت المعارف الحديثة لخدمة الدراسات التاريخية، مما أحدث بالفعل ثورة حقيقيّة في حقل الدراسات التاريخية.

ولكن هذه الانطلاقة لم تستمر في زخمها العلميّ المجرّد من الأهواء، بل اتخذت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ في الغرب شكلاً آخر، الهدف منه خدمة فِكرَ ومذاهب معيّنة، جرّت الويل والدمار على البشرية، وأثّرت بشكلٍ مباشر في الوطن العربي والعالم الإسلامي في المناحي المختلفة، ومن بينها النظرة للتاريخ.

إنّ المتتبّع بشكلٍ عامّ لتطور كتابة التاريخ في القرن العشرين في الغرب يجد أنها ترتكز على ثلاث أثافي: الداروينية، والعنصرية، والشيوعية.

أ - الداروينيّة(٢٠):

لقد انطلقت المدرسة الغربية في الصياغة الجديدة بشكلٍ عامّ من الداروينيّة، التي تقرّ بحيوانية الإنسان، فمعظمُ الذين كتبوا في تاريخ البشرية من الغربيين ينظرون للبشر، الذين يؤدّون دورًا تاريخيًّا خلاّقًا على هذا الكوكب، على أنهم من نسل قرد(٢١) بل إن أودلف أرمان جعل الحيوان المثل الأعلى الذي نُسج على منواله الإنسان(٢٢).

إنّ هذا التصوّر المرتكز على الداروينيّة كان له نتائج في غاية الخطورة على نظرة المؤرخ الغربي للتاريخ وتقييمه لمسيرة البشرية، ونظرته للتاريخ المعاصر؛ فقد انعكست أفكار دارون سلبًا على قوانين الدول الغربية وتشريعاتها، التي ركّزت على متعة الجسد دون إعطاء الروح أيّ قيمة، ممّا أدّى إلى

ملاحظات حول الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ

التصدّع والتفكّك للبنية الاجتماعية للمجتمعات الغربية، وهذا ينذر بكارثة سوف تحلّ بها(٢٣).

ب - العنصريّة :

أما الركيزة الثانية، التي ارتكزت عليها دعوة إعادة كتابة التاريخ في القرن العشرين، فهي النظرة العنصريّة، تلك النظريّة التي تضرب في جذورها في أعماق التاريخ؛ إذ تعدّ من أقدم الدعوات؛ إذ ارتبطت بوجود هذا الإنسان، وبالتحديد عندما أمر الخالق سبحانه وتعالى إبليس بالسجود لآدم، فاحتج إبليس على ذلك، ورفض السجود؛ لأنه أفضل من آدم؛ لأنه خلق من نار وآدم خلق من تراب، وفي اعتقاده أن النار أفضل من التراب، فكانت هذه أول صرخة عنصريّة في التاريخ الذي وصل إلينا عبر القرآن ﴿**ولقد خلقنكم ثمّ صوّرنكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين، قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك، قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين**﴾(٢٤).

ومنذ ذلك التاريخ أصبح الشعور العنصري هو الذي يذكي الصراع ويؤجّجه بين البشر، مما جرّ الويلات على البشرية عبر تاريخها الطويل؛ إذ كلما نما الشعور الذي يدعو إلى سيادة جنسٍ آخر تفجّر الصراع، وتخلخلت البُنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وزاد الظلم الذي يعدّ من أبرز عوامل سقوط الحضارات أيًّا كان دينها ومعتقدها(٢٥). بل إنّ الدعوات العنصريّة، كما يحدثنا التاريخ، كانت عائقًا في وجه انتشار بعض الحضارات خارج حدودها الإقليميّة، فهاهم الصينيّون يبنون سورهم العظيم في حدود (٣٠٠ ق.م) حتى لا تدنّس أرضهم أقدام الغرباء؛ لاعتقادهم بأنهم أفضل شعوب الأرض، كذلك شلّ الشعور العنصريّ الحضارة الهندية، ومنعها من الانتشار خارج حدودها: فقد كان الهنود يؤمنون بالتفاضل بين الناس تفاضلاً عنصريًّا طبقيًّا، حتى إنهم كانوا يسمّون من ليس منهم (أبليج): أي الأنجاس(٢٦)، وكذلك كان الرومان والفرس يعتقدون بأنهم أفضل شعوب الأرض، وأن تشريعاتهم وقوانينهم المرتكزة على التمايز الطبقي والعنصري من أفضل القوانين والتشريعات(٢٧).

إنّ النظرة العنصريّة التي نبتت في رحم التاريخ منذ أول يومٍ لبدايته بقيت توجه كتابات العديد من المؤرخين حتى يومنا هذا، على الرغم من صدور ميثاق الأمم المتحدة الذي ينص على المساواة بين جميع البشر في الحقوق والكرامة، وعلى الرغم من كلّ هذا إلاّ أنّ المجتمع الغربيّ لم يتقبّل ذلك بسهولة، وبقي التمييز العنصري ظاهرة واضحة في الفكر الغربي، ولعلّ تجربة البيض في جنوب إفريقيّة لا تزال ماثلةً للعيان حتى قُبيل سُنيّات قليلة. والتمييز العنصريّ ضد السود في الغرب بشكل عام حتى زمنٍ قريب لا يخفى على المطلع، علمًا بأن أشهر مؤرخي الغرب، توينبي، لم يصل إلى حقيقة أن الناس سواسية إلاّ بعد أبحاثٍ مضنية، علمًا بأن الإسلام صرح بذلك قبل أربعة عشر قرنًا؛ إذ نصّ القرآن الكريم على ذلك بعباراتٍ واضحة لا تقبل اللبس أو الغموض، حين قال: ﴿**يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ اللهَ عليمٌ خبير**﴾(٢٨)، كما أعلنها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالية مدوّية عندما اعتدى ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه على أحد المصريين: (متى استعبدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا)(٢٩).

ويعدّ اليهود من أنشط العناصر في القرن العشرين الداعية لإعادة كتابة التاريخ من منظورٍ دينيّ عنصريّ؛ لإثبات أنهم بؤرة تاريخ البشرية ومحوره، وأنهم أفضل شعوب الأرض، وسواهم - حسب تعبير الشاعر البريطاني كبلينج - سلالات

دنيا لا شريعة لها(٣٠)، وأنّ شعوب الأرض يجب أن تكون مسخّرة لخدمة اليهود؛ فقد جاء في التلمود: «إن شعوب الأرض هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعبه المختار»(٣١) وفي نصٍّ آخر: «وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان؛ ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم»(٣٢).

لقد نجح اليهود في تأسيس كراسي للدراسات العبرية في العديد من الجامعات الغربية، ونبغ منهم عددٌ كبير من المؤرخين، الذين تمكّنوا من ترويج مقولاتهم في التفوّق النوعيّ على كل الأمم، فأخذت الجامعات الغربية تتسابق في إرسال البعثات الأثرية إلى المشرق العربي، لتعرف تاريخ اليهود من جانب، ومن أجل فهم الإشارات الواردة في الكتاب المقدّس والمتعلقة بتاريخ اليهود من جانبٍ آخر، بل إنَّ اليهود سيطروا في الغرب على دراسات التاريخ القديم، وتمكنوا من تحقيق نجاحاتٍ لا يمكن الاستهانة بها من إقناع الكثير من الغربيين بنظريتهم التي تنصّ على تفوقهم وتميّزهم على الآخرين، وأن تاريخهم من أثرى التواريخ.

ويعدّ أعظم نصرٍ حقّقه اليهود تجاه إعادة كتابة التاريخ الغربي هو إقناعهم للڤاتيكان بإلغاء فتواه التي تتهم اليهود بقتل المسيح عليه السلام، فأعلن يوحنا بولص الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية عام (١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م) براءة اليهود من دم المسيح(٣٣)، عندها تبارت الأسقفيات الغربية في الترحيب بهذه الفتوى، فأصدرت اللجنة الأسقفية الكاثوليكية الفرنسية في عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) فتوى جاء فيها: «إن الوجود الإسرائيلي يفرض على الضمير المسيحي أسئلة خاصّة بخلود هذا الشعب على مرّ الزمن واستمرار مدنيّته... لذا يجب على المسيحيين أن ينظروا إلى اليهودية كحقيقة دينيّة... وأنها خطيئة لاهوتية تاريخية التي أدانت اليهود بمسؤولية صلب المسيح... وأنّ الضمير العالمي لا يستطيع أن يرفض حقّ هذا الشعب المضطهد في تاريخه الطويل لتحقيق وجوده السياسي بين شعوب العالم»(٣٤). إضافةً إلى ما يحدث هذه الأيام من نصرٍ لم يسبق له مثيل لليهود عندما تمكنوا بعد مؤتمر مدريد من إقناع العالم بأن العديد من القرارات التي صدرت ضد الكيان الصهيوني، منذ اغتصابه أرض فلسطين، قراراتٍ جائرة يجب إلغاؤها(٣٥)؛ أي بعبارة أخرى إعادة كتابة تاريخ اليهود من جديد مع اعتذار العالم لهم. وتبع ذلك اعتراف العالم، بما فيه دول العالم الإسلامي، بحق اليهود التاريخي في فلسطين، مع ضرورة التعامل مع الدولة العبرية كجزءٍ من نظام (شرق أوسطي) جديد.

وهكذا تمكّن اليهود من فرض تاريخهم واحترامهم رهبة ورغبة على العالم، وفرض نظريتهم التاريخية على الغرب، بل على العالم الذي أخذ يتعامل معها بكل رحابة صدر، على الرغم من إدراكه لخطورة ما تحتويه من مفاهيم، لها آثارٌ خطرة على السلم العالمي.

وعلى منوال اليهودية نسجت النازيّة(٣٦) على يد أدولف هتلر (١٣٠٧ - ١٣٦٥هـ = ١٨٨٩ - ١٩٤٥م)(٣٧) التي انطلقت من نظرية تفوّق الجنس الآري على كل الأجناس مع ضرورة صياغة تاريخ البشرية وفق هذا المنظور العنصريّ، الذي يجعل الجنس الآريّ يتربع على قمة الأجناس البشرية، مما كان سببًا في إشعال نار الثورات والفتن، التي أدّت في نهاية المطاف إلى إشعال نيران الحرب العالمية الثانية (١/٩/ ١٩٣٩ - ٢/٩/ ١٩٤٥م)، التي جرّت الويلات على البشرية؛ إذ راح ضحيتها نحو ٤٩ مليونًا من البشر(٣٨).

وما ينطبق على النازية ينطبق على الحركة الفاشيّة في إيطاليا بزعامة موسوليني (Mussogini) (١٣٠١ - ١٣٦٥هـ = ١٨٨٣ - ١٩٤٥) الذي أسّس الحزب الفاشيّ عام (١٣٣٨هـ = ١٩١٩م)، وتحالف مع هتلر منطلقًا من المبادىء والأفكار العنصرية نفسها(٣٩).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا نجحت الدعوة اليهودية، وأخفقت النازية والفاشية؟ إن نجاح الدعوة اليهودية يعود إلى ارتكازها في دعواها على نصوص دينية يؤمن بها اليهودي والنصراني على حدٍّ سواء، فالتوراة كتاب لليهود والنصارى؛ إضافةً إلى أن هذه الدعوة تحمل في طياتها الدعوة إلى أفضليّة دين، لا أفضليّة جنس، بينما كلّ من الدعوة النازية والدعوة الفاشية ليس لهما سندٌ شرعيّ دينيّ، إضافةً إلى أمورٍ أخرى لا يتسع المجال لبسطها.

ج - الشيوعية:

يعدّ عام (١٣٣٦هـ = ١٩١٧م) تاريخًا محوريًّا في مسيرة الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ؛ إذ في هذا التاريخ تسنّم الشيوعيون، بقيادة لينين (Lenine) (١٢٨٧ - ١٣٤٣هـ = ١٨٧٠ - ١٩٢٤م)[٤٠]، السلطة في الاتحاد السوفيتي، حيث بدأ الشيوعيون يدعون إلى إعادة كتابة التاريخ بما يخدم فكرهم، الذي يدعو إلى محاربة الدين بصفته أفيون الشعوب، وقد بدأ لينين دعوته إلى إعادة كتابة التاريخ من خلال رسائله المعنونة بـ (حل المشكلة اليهودية) ما نصّه: طالما كان هناك دين ومتديّنون سيظل الناس يشيرون إلى اليهود على أنهم يهود، ويظل يقع تمييزٌ مجحف عليهم، والحلّ الوحيد للمشكلة اليهودية إلغاء الدين كله، وعدم التمييز بين البشر على أساس الدين، وعندئذٍ تستطيع الأقليّة اليهودية أن تعيش بسلام دون أن يقع عليها تمييزٌ مجحف[٤١].

لقد اتخذ الشيوعيون من التفسير الماديّ للتاريخ، الذي أرسى قواعده كارل ماركس (١٢٣٤ - ١٣٠١هـ = ١٨١٨ - ١٨٨٣م)، قاعدة للانطلاق؛ لإعادة كتابة التاريخ، فقد كان ماركس قد سخر من قول هيجل (Hejel) (١١٨٤ - ١٢٤٧هـ = ١٧٧٠ - ١٨٣١م): «عندي ينتهي التاريخ»، فقال ماركس: «إن التاريخ الحقيقي للبشر لم يبدأ بعد لكي يقال إنه انتهى»، فبداية التاريخ عند ماركس: عندما تنتقل القوة الموجهة للتاريخ من البرجوازية إلى العمال الذين يصنعون التاريخ بأيديهم[٤٢].

لقد قام الشيوعيون بأوسع عمليّة مسح لأدمغة شعوبهم من خلال الدعوة لإعادة كتابة التاريخ طوال سبعين سنة من العمل المتواصل؛ لإعادة صياغة تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي، وفي المقابل مسح جميع التواريخ السابقة للثورة البلشفية ومسخها، التي كانت تنعت بأنها تواريخ للرجعيّة والتخلّف.

لقد طبع الشيوعيون التاريخ بطابعهم، وأخذوا يستغلونه لتأكيد الانتصار المحتوم للشيوعية، وتركيز السلطة في الوقت نفسه بأيدي زعماء الحزب الشيوعي، حتى غدا التاريخ السوفيتي عبر الدعوة لإعادة التاريخ مختزلاً إلى مديحٍ لزعماء الحزب الشيوعي.

لقد استغل الشيوعيون التاريخ أبشع استغلال؛ لتحقيق أهدافهم، وتسويغ تصرفاتهم، ورسم مستقبل فكرهم، فكثيرًا ما ردّد ستالين (Stalin) (١٢٩٧ - ١٣٧٣هـ = ١٨٧٩ - ١٩٥٣م): أنّ من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل.

إنّ الدعوة الشيوعية لإعادة كتابة التاريخ من خلال محاربة الفطرة الإنسانية، ومحاربة كل ما يمتّ للدين بصلة، كانت تحمل بذور فنائها منذ لحظة انطلاقها، فلم تعمّر سوى سبعين عامًا، كانت من أقسى الأعوام دمويّةً في تاريخ الإنسانية، وستبقى تذكرها الأجيال في الاتحاد السوفيتي والعالم بكل مرارة.

لقد حصلت أزمة في المجتمع التاريخي بعد تفكّك الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية، وبشكلٍ خاصّ في الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، فقد اجتمع مدرسو التاريخ من أرجاء الاتحاد الروسي المختلفة في موسكو؛ لمناقشة مستقبل المهنة برئاسة كومانف، الذي أوضح أنّ الهدف من المؤتمر محاولة الوصول إلى إجابة شافية عن السؤال الآتي: ماذا سندرس

بالتحديد في مقرر التاريخ على ضوء المتغيّرات المتسارعة؟ فهل خرج المؤتمرون بإجابة مقنعة على سؤال كومانف؟

لقد عمّت الفوضى، وأخذت كل دولة من الدول المستقلة تدعو إلى كتابة التاريخ بطريقةٍ مغايرة عمّا كتب أيام ازدهار الشيوعية، فاختلطت الحقائق، وانقلبت المسلّمات، وتغيّرت الموازين، فغدا جنكيز خان (٥٦٣ – ٦٢٥هـ = ١١٦٧ – ١٢٢٧)[٤٣]، الذي كان يصوّر قبل انهيار الشيوعية بالقائد الهمجي المستهتر بأرواح البشر، والذي يرتبط اسمه بالخراب والدمار، والذي تحمل سيرته دومًا عنوان (راكب الموت)، غدا من كبار قادة الإصلاح الفضلاء؛ فقد ظهرت هذه الأيام سيرة جديدة عن جنكيز خان في أولان باتور (Olan-Bator) عاصمة منغوليا، تحوّل جميع جرائمه ووحشيته إلى محاسن، فهو رجلٌ يقاتل من أجل نصرة العدالة، وهو صاحب القلب النابض بالرحمة على اليتامى وكبار السن، وهو فوق هذا وذاك من أنصار الاقتصاد الحر، وحملت السيرة الجديدة اسم (راكب الحياة)، والمؤلف هو عينه مؤلف (راكب الموت)[٤٤].

الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ في العالم العربي

من منطلق القول الشهير للعلاّمة العبقريّ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م): إنّ المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب[٤٥] أثّرت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ في الغرب العلماني في المثقفين والمفكرين في العالم العربي، مع ملاحظة أن بعض الدول العربية التي آمنت بالفكر الاشتراكي كانت أكثر تأثّرًا بالفكر الاشتراكي فيما يتعلّق بنظرتهم للتاريخ، فلا غرابة إذا رأينا أن الدعوة لإعادة كتابة التاريخ في تلك الدول تنطلق من المنطلقات نفسها التي انطلقت منها الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ في الغرب العلماني أو الشرق الاشتراكي. فكما بدأت الفكرة في الغرب من محاربة الدين ورجال اللاهوت، كذلك بدأت الخطوة الأولى في العالم العربي بمحاربة الدين عن طريق التشكيك بالقرآن الكريم، والادّعاء بأنه لا يثبت أمام النقد العلميّ، فها هو طه حسين (١٣٠٧ – ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ – ١٩٧٣م) يشكّك في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فيقول: «التوراة والقرآن يحدثاننا عن إبراهيم وإسماعيل، ولكن لا يعني ذلك أنهما شخصيتان حقيقيتان»[٤٦]. ثم جاء كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) ليطعن في النظام الإسلاميّ في الصميم، بل إنّ سلامة موسى (١٣٠٥ – ١٣٧٨هـ = ١٨٨٧ – ١٩٥٨) طالب بإغلاق الأزهر الشريف؛ لأنه حسب رأيه لا يقدّم سوى الوجبات العفنة، التي مضى عليها ثلاثة عشر قرنًا[٤٧]، كما جاء في كتابه (اليوم والغد) من أن الرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا[٤٨].

أمّا شبلي شميل (١٢٧٠ – ١٣٣٦هـ = ١٨٥٣ – ١٩١٧م) فكان قد طالب قبل سلامة موسى بإلغاء الجامعة المصرية الناشئة (جامعة فؤاد الأول/ جامعة القاهرة) سنة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) وإلقائها في البحر؛ لأنها تدرس موضوعاتٍ تنتمي للتراث العتيق والتخلّف السحيق[٤٩].

إذًا البداية واحدة، وستكون النتيجة بالصيرورة التاريخية واحدة. لقد انطلقت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ في العالم العربي في ظلٍّ نفسيّةٍ كسيرة مهزومة، تشعر بالتبعيّة والدونيّة والكراهية للواقع وللغرب المستعمر معًا، ولكن ما لبث أن تحوّل شعور الكراهية للغرب إلى حبٍّ التضحية لمعذبها، لهذا لا يكون مستغربًا في وقتٍ من الأوقات أن تبدأ دراسة تاريخ الجزائر على سبيل المثال مع بداية عام (١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م)؛ أي مع بداية الاحتلال الفرنسي لهذا القطر العربي، فالجزائر تاريخها ووجودها، وربما اكتشافها، مرتبطٌ بالاستعمار الفرنسي، الذي بذل المستحيلات لتطوير البلاد وتنميتها وتخليصها

من الجهل والتخلّف المرتبط بالإسلام والمسلمين(٥٠) حسب زعمهم.

لقد كانت الانطلاقة للدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ في العالم العربي من مصر، وبالتحديد منذ عام (١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م) حيث كانت معظم الدول العربية، إمّا حديثة عهد باستقلال، أو ما زالت تترنّح تحت نير الاحتلال، فظهر جمال عبد الناصر (١٣٣٧ – ١٣٩٠هـ = ١٩١٨ – ١٩٧٠م) بطلاً قوميًّا يدعو إلى التحرّر والحرية، ويبشّر بفجرٍ جديد للأمة العربية. لقد تبنّى هذا الزعيم الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ العربي من منطلقاتٍ قومية اشتراكية، على نسق الشيوعيين عند بداية انطلاقة ثورتهم عام (١٣٣٦هـ = ١٩١٧م)، فكما كان هدف الشيوعيين من إعادة كتابة التاريخ الترويج لفكرهم الجديد بحتمية انتصار الاشتراكية، كان من أهداف الدعوة العربية لإعادة كتابة التاريخ العربي التبشير بحتمية انتصار الأمة العربية، وفي الوقت نفسه استغل عبد الناصر هذه الدعوة لتركيز أركان حكمه من خلال تشويه تاريخ نظام الحكم السابق، وإبراز محاسن الثورة الجديدة. ومن مصر انتشرت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ في العالم العربي، فأخذت كلّ دولة تلوي ذراع التاريخ باسم هذه الدعوة؛ لخدمة مصالحها الخاصة، فرصدت الأموال وعقدت المؤتمرات من أجل النظر في إعادة كتابة التاريخ العربي والتاريخ الإسلامي، ولكن ضمن مقاس كلّ دولة ومصلحتها، وبما أن تلك الدول متناحرة إيديولوجيًّا، ومتباغضة سياسيًّا كانت هذه المؤتمرات في الغالب الأعمّ تخفق في تحقيق رؤية مشتركة للتاريخ العربي والإسلامي.

لقد خرجت لنا من ضئضىء الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ في العالم العربي صورة مشوّهة للتاريخ، إطارها الواضح تمجيد تاريخ الأوطان، فأُعليَ من شأن الفرعونيّة في مصر وعدّت رائدة التوحيد في تاريخ البشرية، إذ عدّ أخناتون أحد فراعنة مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أوّل موحّدٍ في التاريخ(٥١)، كما أُعليَ من شأن الفينيقيّة في الشام، والبابليّة في العراق، والأمازيغيّة في المغرب..إلخ. فإذا قُدّم التاريخ الإسلاميّ قُدّم باهتًا دمويًّا وحشيًّا، بل إنّ تلك الدراسات كانت توحي بأن تاريخ الأوطان أسمى وأرفع شأنًا من الدين، وأن الإسلام استنفذ أغراضه وطاقاته، ولم يعد يصلح لأداء دورٍ جديد للمسلمين أنفسهم، إضافةً إلى الأمم الصناعية المتقدمة التي تجاوزت منذ زمنٍ الدين.

إنّ عرض التاريخ الإسلاميّ غالبًا ما يتم عبر تسليط الضوء على الجانب الأسوأ من هذا التاريخ، وهو تاريخ الثورات والفتن، والتاريخ السياسي بشكلٍ عامّ. وكما هو معلومٌ يقدّم التاريخ السياسي صورةً جزئيةً للتاريخ الإسلامي، الذي يشمل تجربة الأمة الإسلامية في الحقول المختلفة؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والحضارية، ومن ثمّ يحرم المتلقي من رسم صورةٍ واضحة لهذا التاريخ مما يؤدّي إلى إساءة الظن بالدين الذي يمثله هذا التاريخ، ومن ثمّ الربط ما بين تخلّف المسلمين وتمسكهم بالإسلام.

وفي المقابل إذا قدّم التاريخ الغربي المتحرّر من الدين قدم ورديًّا إنسانيًّا عقلانيًّا.. فالشيء الطبيعي أن الناشىء المسلم سوف تتوجه استجاباته للتاريخ الغربي الذي يجد فيه الراحة والثراء والعدالة والسماحة.

وهكذا أخذت الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ في العالم العربي تكرّس لخدمة أهداف خاصّة، هي في مجملها تقليدٌ لما جرى في الغرب العلماني والشرق الاشتراكي. ولنا أن نتصوّر قوة التيار الاشتراكي الدّاعي إلى إعادة كتابة التاريخ العربي والإسلامي من خلال تأمّل المكتبة العربية قبيل انحلال الاتحاد السوفيتي، لنجد عشرات الكتب التي تروّج للفكر الاشتراكي من خلال التاريخ والفكر الإسلامي، حتى

لم ينجُ من ذلك دعاة الإسلام، الذين أخذوا يكتبون عن اشتراكية الإسلام، مجاراةً للتيّار الجارف الداعي لذلك(٥٢).

لقد أخذت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ منحى خطرًا عندما تبنّت بعض الجامعات العربية في المنظومة الاشتراكية فكرة تقديم الاشتراكية من خلال التاريخ الإسلامي، فخرجت دراسات عديدة توضّح أنّ الاشتراكية خرجت من رحم الإسلام، فأبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه من أوائل روّاد الاشتراكية في الإسلام، وثورات كلّ من بابك الخرمي، والزنج، والقرامطة، وحركات كلّ من العيارين، والزعر، والشطار كلها تمثّل ثورات اشتراكية رائدة ضد البرجوازية الظالمة.

وإزاء هذا التخريب والفوضى التي أحدثها دعاة إعادة كتابة التاريخ في الدراسات التاريخية، والتي أخذت تتلوّن بلون السياسات والإيديولوجيات المتقلبة، والتي في جملتها لا تخضع لمنهجٍ معيّن، استفز هذا الواقع مشاعر النخبة المثقفة من أبناء المسلمين، وبخاصة مشاعرهم بعد صدور العديد من الدراسات التاريخية المتلونة بألوان الإلحاد المتعددة، والتي تتصادم مع التصوّر الإسلامي، الذي يرتكز على التوحيد، فجاءت ردة الفعل، فأطلق بعض الكتّاب الإسلاميين الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وفق منظورٍ ومنهجٍ يتّفق مع التصوّر الإسلامي الشامل للإنسان والكون، والمناقض في كثيرٍ من جوانبه للتصوّرات المطروحة والمتداولة.

لقد انطلق هؤلاء الكتّاب(٥٣) في دعوتهم لإعادة النظر في التراث التاريخي من مسوّغات لها وزنها وقيمتها، ويمكن إجمالها بالآتي:

- إن صفحات عديدة من التاريخ الإسلامي كتبت من قبل الخصوم، فالتاريخ الأموي على سبيل المثال كتب من قبل خصومهم العباسيّين، وتاريخ العباسيين كتب جزءٌ كبيرٌ منه بأقلام خصومهم العلويين..

وهكذا إضافةً إلى تدخّل الميول السياسية والأهواء المذهبية والإقليمية والعنصرية للرواة والإخباريين.

- غلبة الناحية القصصية، وغياب منهج النقد والتحليل، وترديد الإسرائيليات دون إعمال الفكر فيها، كلّ هذا يقتضي مزيدًا من التمحيص للروايات التاريخية للوصول إلى نتائج تفيدنا في واقعنا المعاصر.

وإلى جانب ذلك تحتاج المصادر الإسلامية إلى صبرٍ ووقتٍ للتعامل معها، وقارىء اليوم، بل جيل الباحثين المحدثين في ظلّ الثورة المعلوماتية الهائلة بحاجة إلى خلاصاتٍ سريعة، فالمصادر الأوليّة تصلح للباحث المتخصّص المتعمّق، ولا تصلح للباحث الركّاض المتعجّل، وفي المقابل الدراسات الاستشراقية على النقيض من ذلك؛ فهي ذات تبويب جيّد، ومقدّمة بأسلوبٍ جذّاب، سواء من حيث الطباعة أو الأسلوب والعرض، إضافةً إلى تقديمها لخلاصاتٍ محدّدة، لا تجعل القارىء يغرق في بحر الروايات المتناقضة أحيانًا، والبعيدة عن منطق العقل والواقع أحيانًا أخرى.

- غياب الهدف أو انعدام الرؤية للكثير من المؤلفات التاريخيّة القديمة والحديثة.

- طغيان النزعة التجميعية على حساب النوع(٥٤)، إلى جانب فقدان الأسلوب التركيبي، الذي يعرف كيف يجمع الوقائع التاريخية ذات النسق الواحد(٥٥).

لقد أراد دعاة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي تقديمه وفق منهجيّة جديدة، وفي قالبٍ جذّاب على نسق الدراسات الاستشراقيّة؛ لجذب القارىء المسلم إليها، وإعادة تشكيل فكره وفق التصوّر الذي أرادوه والمرتكز على توجيهات الكتاب والسنّة.

لقد كانت الدعوة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي من قبل الكتّاب الإسلاميين ردُّ فعلٍ لدعوة إعادة كتابة التاريخ التي أطلقها القوميّون والعلمانيّون، فوقعوا

ملاحظات حول الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ

في المحظور؛ لأن هؤلاء الكتّاب يقدحون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الظرف الزمني الذي كتب في ظلّه التاريخ بأنه ظرفٌ ليس جيّدًا، فإمكان القدح قائم ضدهم أيضًا؛ لأنهم أسرى نموذج مثالي، يريدون تثبيته في التاريخ، فيضخّمون المحاسن، ويقلّلون من شأن المساوىء، وينتحلون الأعذار، ويسكتون عن نقاط الضعف في مسيرتنا التاريخية؛ أي إنها دعوةٌ تهدف في نهاية المطاف إلى وضع التاريخ الإسلاميّ في قالبٍ واحد، لا يجوز لأحد التنكّر لمعطياته، أو أن يقفز إلى التعامل بشكلٍ مباشر مع المصادر الأوليّة الرئيسة، ويخرج منها بحقائق مخالفة للقالب التاريخي المعاد كتابته(٥٦).

علمًا بأن الكثير من الأحزاب الإسلامية بل كلها أخذت تقدّم التاريخ وفق تصوّرها، ووفق ما يخدم تطلعاتها وأهدافها القريبة والبعيدة، فالتنظيمات الشيعيّة على سبيل المثال، تقدّم التاريخ وفق تصوّرها المتمحور حول آل البيت، أو وفق الخط الثوري الذي يمثله في وجهة نظرهم الحسين بن علي رضي الله عنه. أما الأحزاب السنيّة فكلٌّ منها يصبغ التاريخ باللون الذي يناسبه، فإن كان الحزب يؤمن بالثورة واستخدام العنف طريقًا للتغيير قدّم التاريخ بعد حشد عشرات الشواهد وفق هذا اللون، وإن كان ذلك الحزب يؤمن بالدعوة الفردية أو الجماعية قدم التاريخ وفق ذلك التصور أيضًا، وهكذا إن كان المتصديّ للكتابة صوفيًّا أو سلفيًّا أو تبليغيًّا أو تحريريًّا.. إلخ. وكلّ ذلك ضمن دعوة إعادة كتابة التاريخ، وكلٌّ ذلك على حساب الموضوعية والتجرّد والحياد، ومن ثمّ تشرذم فكر الأمة، مما كان له أسوأ الأثر على ثقة المثقّفين بالتاريخ الإسلاميّ والمنهج الذي يتبع في معالجة قضاياه.

وهكذا نرى مرةً أخرى أنّ الدعوة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي وفق هذا التصوّر المطروح تتناقض مع المشروع الحضاري الذي تتطلّع إليه الأمة الإسلامية، والذي من ضمن أهدافه محاربة الجمود والانغلاق، داعيًا في الوقت نفسه إلى استيعاب تجارب الآخرين من خلال نظرةٍ شموليّة، تتسامى فوق كل الدعوات الإقليميّة والعنصريّة والحزبيّة.

إنّ الدعوة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي يبدو أنها تقودنا في نهاية المطاف إلى غلق باب الاجتهاد في هذا الحقل العلميّ المهم، لهذا ليس مستغربًا أن يكون نصيبها الإخفاق على الرغم من كثرة ما عقد لأجلها من مؤتمراتٍ وندوات، وبذل في سبيلها من أموال، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها بالآتي:

١ – عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة العمل، فمن قائل بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله، واعتماد بنية جديدة لوقائعه، ترفض ما قدّمه مؤرخنا القديم، ومن قائل بضرورة إعادة تفسير معطيات هذا التاريخ وتحليلها بدلاً من إعادة تركيبه، وآخرون لا يعرفون على وجه الدقة واليقين ما الذي يقصدونه بالعمل المنشود؛ لأن الضباب يلف تصورهم.

٢ – غياب المنهج وضعف القدرة على التخطيط عند القائمين على الفكرة إلى جانب فقدان الروح الجماعية في العمل؛ لأن مثل هذا المشروع لا يمكن أن يقوم على الجهود الفردية.

٣ – غياب التوحّد في الرؤية، فليس بمقدور فريق من المؤرخين يتجه بعضه يمينًا والآخر يسارًا، وهذا متصوّف، وهذا إقليميّ، وهذا مصلحيّ... أن يقوم بعملٍ مثمر، إضافةً إلى انعدام النيّة الصادقة، وتحوّل الدعوة إلى عملٍ دعائيّ صرف.

٤ – الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي العالم الإسلامي، لهذه الأمور مجتمعة يرى الدكتور عماد الدين خليل أنّ هذه الدعوة أخفقت في تحقيق أهدافها(٥٧).

أما اليوم فالمشكلة تزداد تعقيدًا، وغدا المؤرخ العربي في وضعٍ لا يُحسد عليه بعد عام ١٩٩٠م، فقد

كانت كتابات المؤرخ العربي قبل ذلك التاريخ تدور حول القوميّة العربيّة، وحول القضيّة الفلسطينيّة بوصفها قضية محورية، يتجمع حولها العرب، ولكن بعد عام ١٩٩٠م، ذُبحت القوميّة العربية بغزو العراق للكويت، وحلّت القضية الفلسطينية، أو على وشك الحل بعد مؤتمر مدريد، وغدا عدوّ الأمس صديقًا وشريكًا في النظام العالمي الجديد، فماذا يكتب المؤرخ العربيّ اليوم؟ وكيف يعيد صياغة تاريخ المنطقة؟ لقد حصل فراغٌ لا بُدَّ أن يُملأ، فمن الذي يملؤه؟ ومن الذي يتصدى لكتابته؟ إنها أزمةٌ حقيقية في غياب الثوابت والمنهج الرصين.. إن الذي يلوح في الأفق أن الأحزاب المعارضة هي التي ستتولى صياغة أوراق عديدة من هذا التاريخ، عندها تعود الأمور جذعة من جديد، ونبقى في دوامة لا تنتهي من المتناقضات النابعة من اختلاف التصورات.

إذًا ما الذي نحن بحاجةٍ إليه؟ يبدو أننا لسنا بحاجة إلى إعادة كتابة التاريخ؛ لأن التاريخ قد كتب وانتهى الأمر، بل نحن بحاجةٍ إلى منهجٍ نتعامل من خلاله مع تاريخنا ومع تاريخ البشرية. ●

●●●

الحواشي

١ – المنافرة تعني المحاكمة في الحسب والفضل، ينظر: الصحاح: ٢/٨٣٤ (مادة نفر).

٢ – في التاريخ الإسلامي: ١١.

٣ – الحضارة: ٦٩.

٤ – فلسفة التاريخ: ٥٦ – ٥٨.

٥ – المرجع السابق نفسه: ٥٧.

٦ – يكفي لتصوير الفساد الذي وصلت إليه المؤسسة الدينية في أوربا أن سجلات الأديرة احتوت على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات، بل إنّ المصادر تحدثنا أن البابا إسكندر السادس بابا روما (٨٩٨ – ٩٠٩هـ = ١٤٩٢ – ١٥٠٣م) كان منحرفًا من الناحية الأخلاقية، ولنستمع للقديسة كترين وهي تحدثنا عن فساد المؤسسة الدينية حيث تقول: «إنك أينما وليت وجهك... سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين... لم ترَ إلا شرًا ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة..». لمزيدٍ من التفاصيل ينظر: قصة الحضارة: مج٥/ج٤/ ٨٤ – ٨٥: وأوربا في مطلع العصور الحديثة: ١٦٨، والمنجد في اللغة والأعلام: ٤٥.

٧ – علم التاريخ: نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه: ١٤.

٨ – انتشرت البروتستانتيّة في ألمانيا، والبلدان الإسكندنافية، وأمريكا الشمالية، وتعدّ أهم فروعها اللوثرية، والكلفنية، والإنجيلية، ولعل النهضة التي شهدتها تلك البلدان تعود لاعتناقها لهذا الفكر الذي يقدس العمل والعقل، فبقدر نجاح الإنسان في الدنيا يكون حظه في الآخرة. لمزيدٍ من التفاصيل عن البروتستانتية ينظر: منشأ الفكر الحديث، وروح الثورات، والثورة الفرنسية. وقصة الحضارة: مج٦/ج٢.

٩ – كانت صكوك الغفران في عهد البابا ليو العاشر، عندما أراد إعادة بناء كنيسة بطرس في روما، عن ذلك ينظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث (من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية): ١٠٠.

١٠ – مما يجدر ذكره أنه صدر قرار حرمان ضد لوثر عام ١٥٢٠م، فأجاب لوثر على ذلك بأن أحرق منشور الحرمان على ملأ من الناس، ينظر: قصة الحضارة: مج٦/٢/١٦.

١١ – المرجع السابق نفسه: مج٧/٢/١١٧. وأصول التاريخ الأوربي الحديث: ١٠٦، ١٤٩، ١٥٢.

١٢ – بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية: ٢٧.

١٣ – قصة النزاع بين الدين والفلسفة: ١٩٠.

١٤ – عن الثورة الفرنسية ونتائجها السياسية والاجتماعية ينظر: الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية، والثورة الفرنسية. ومما يجدر ذكره أن المتظاهرين خلال الثورة الفرنسية حملوا امرأة عارية، ووضعوها على مذبح الكنيسة إشعارًا بانتهاء رقابة الدين على الأخلاق.

١٥ – تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا.

١٦ – جريدة الشرق الأوسط، ع٤٦١٥، الخميس ١٨/٧/ ١٩٩١م، ص ١٦.

١٧ – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: ١٣. ومن الجدير بالذكر أن العرب عندما أنزل عليهم القرآن لم يستطع كفّار العرب آن يطعنوا في صحته من الناحية العقلية، وفي ذلك يقول الشاطبي: «كانوا يقولون – يقصد الكفار – في القرآن: سحرٌ وشعر، وافتراء، وما يعلمه بشر، وأساطير الأولين، بل كان أولى أن يقولوا إنه لا يعقل، أو هو مخالفٌ للعقول، أو ما أشبه ذلك، فلما لم يكن من ذلك شيء دلّ على أنهم عقلوا ما فيه، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول، إلاّ أنهم أبوا اتّباعه لأمورٍ أخرى.. ولم يعترض أحد بهذا المدعى، فكان قاطعًا في نفيه عنه». الموافقات في أصول الشريعة: ٢٨.

١٨ – الصراع ما بين البشر والآلهة عريقٌ في التراث الغربي، ورثوه عن الرومان والإغريق، وتمثّله أسطورة «بروميثيوس» سارق النار المقدسة من إله الآلهة زيوس، الذي غضب من ذلك، وعجز عن استرداد النار، إلى غير ذلك من التفصيلات التي تحملها هذه الأسطورة، والتي تمثل عجز الرب وهزيمته أمام الإنسان. وإذا انتقلنا إلى التوراة وجدنا الصراع أيضًا ما بين الرب والإنسان، ففي سفر التكوين الإصحاح ٣٢، يصف مصارعة ما بين الله ويعقوب، وكاد يعقوب يفوز لولا خدعة الرب الذي هزم بها يعقوب، يقول الأستاذ محمد قطب: إن هذه الأسطورة وهذه النصوص لا تزال تعمل في العقل الباطن الأوربي المعاصر، ففي حسه أن العجز والجهل وحدهما اللذان أخضعاه من قبل الله، وأنه يسعى دائمًا إلى المعرفة والسيطرة، وأنه كلما تعلم وسيطر ارتفع درجة وهبط الإله في مقابله درجة، حتى يأتي اليوم الذي يخلق فيه الإنسان الحياة، فيصبح هو الله، ينظر: حول التفسير الإسلامي للتاريخ: ٦٤ – ٦٦.

١٩ – لمزيدٍ من التفصيلات على أحدث الاتجاهات في الكتابة التاريخية يراجع: الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية.

٢٠ – نسبة إلى داروين (Darwin) ١٢٢٤ – ١٣٠٠هـ = ١٨٠٩ – ١٨٨٢م) العالم الإنجليزي، صاحب نظرية أصل الأنواع، التي وضعها عام ١٨٥٩م. المنجد في اللغة والأعلام: ٢٣٨.

٢١ – شجرة الحضارة: ٢٧، وموسوعة تاريخ العالم: ٥٣/١.

٢٢ – ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها: ٤.

٢٣ – من نماذج الفوضى الأخلاقية التي تعمّ الغرب إقرار العديد من البرلمانات الغربية للواط، والسماح بفتح دور البغاء، إلاّ أنه يجب أن نذكر أنّ علماء آخرين أدركوا خطورة هذه الفوضى الأخلاقية، ونبهوا إلى عواقبها الوخيمة، وأنها ستكون عاملاً مهمًا من عوامل سقوط الحضارة الغربية، فهذا دون لويس روفاس، أستاذ علم النفس في كلية الطب في غرناطة، يقول مخاطبًا المسلمين محذرًا إيّاهم من تقليد الغرب في سلوكه... انصحوا المبهورين بحضارة الغرب أن يعيدوا النظر فيها، احذروا أيها العرب، أيها المسلمون، أن تخلطوا تصوراتكم بالتصورات الأوربية، إن الإنسان حاول أن يؤلّه نفسه بوساطة العلم، العلم وحده، ولكنه وجده أحقر وأقل مما كان يعتقد، فلا تتخلوا عن نزعاتكم المكتسبة من تصوراتكم الإسلامية، ولا تتطلعوا إلى الحضارة الغربية تطلّع المجدّ لها المعظم لشأنها إنها ستبلى. حضارة الإسلام: ٧١.

٢٤ – سورة الأعراف: ١١ – ١٢.

٢٥ – يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة في هذا الشأن: إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة العادلة، ويمحق الله الدولة المسلمة الظالمة، وقد استمد ابن تيمية هذا القول من الآيات القرآنية العديدة، التي تعدّ الظلم من العوامل الرئيسة لسقوط الدول والحضارات.

٢٦ – لمزيدٍ من التفصيل عن ديانات الهند والصين ينظر: أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، وكتاب الأديان القديمة، للمؤلف نفسه،وتاريخ الأديان وفلسفتها، لطه الهاشمي.

٢٧ – لمزيد من التفصيل عن أوضاع فارس تحت ظلّ المزدكية وأثر الترف في سقوط الحضارات ينظر: تاريخ الطبري: ٩٩/٢، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١٦٥.

٢٨ – سورة الحجرات: ١٣.

٢٩ – تاريخ عمر بن الخطاب: ٩٩ – ١٠٠.

٣٠ – التفسير الديني للتاريخ: ١٦٤/١.

٣١ – الله أو الدمار: ٤٦.

٣٢ – التفسير الديني للتاريخ: ١٦٨.

٣٣ – النظام السياسي في إسرائيل: ٣٠.

٣٤ – الله أو الدمار: ٣٢.

٣٥ – تمكن اليهود في عام ١٩٩١م من إقناع الجمعية العامة للأمم المتحدة بإلغاء قرارها الذي صدر في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥م، بأن الصهيونية شكلٌ من أشكال العنصرية، في أول سابقة تشهدها الأمم المتحدة. انظر: النظام السياسي في إسرائيل: ٣٠.

٣٦ – النازية تسمية أطلقها أعداء هتلر على حزبه المسمى الحزب القومي الاشتراكي، حيث أخذت التسمية من أول حرفٍ من اسم الحزب Nazional Sochialistiche Partie. الحضارة: ٥٧.

٣٧ – سياسي ألماني ولد في النمسا، دخل الحزب العمالي الألماني ١٩١٩م، وأصبح زعيمه، وسمّاه الحزب القومي الاشتراكي (١٩٢١م)، وضع كتابه (كفاحي) وهو في السجن (١٩٢٣م)، عرض فيه مذهبه العرقي العنصري الذي أصبح شعار النازية، أشعل الحرب الكونية الثانية، هزم وانتحر في برلين ٣٠ نيسان ١٩٤٥م. المنجد: ٥٩٣.

٣٨ – اشترك في هذه الحرب نحو من ٩٢ مليون مجند ومساعد، ويتفاوت تقدير عدد القتلى من عسكريين ومدنيين تفاوتًا كبيرًا باختلاف المصادر، فمنهم من يقدرهم بـ ٤٩ مليون قتيل موزعين على النحو الآتي: ١٢ مليونًا في معتقلات ألمانيا، ٢٠ مليون روسي، منهم ٧ ملايين مدني، ٦ ملايين بولوني، ٥ ملايين ألماني، ٣ ملايين ياباني، مليون ونصف يوغوسلافي، وستمائة ألف لكل من فرنسا واليونان، وأربعمائة ألف لكل من المجر ورومانيا وبريطانيا، المرجع السابق نفسه: ٢١٦.

٣٩ – المرجع السابق نفسه: ٥٥٦.

٤٠ – زعيم الثورة البلشفية، ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا، أعاد تنظيم الحزب بمساعدة ستالين ١٩١٧م، ويعد من كبار منظري الماركسية، من مؤلفاته: ما العمل، والاستعمار قمة مراحل الرأسمالية، والدولة والثورة، ومن الجدير بالذكر أن الشيوعيين خدعوا المسلمين عند انطلاق ثورتهم، فأعلنوا أنهم سيراعون حرمة الدين، فهبّ المسلمون لنصرتهم في المناطق الروسية المختلفة، ولكن سرعان ما

أظهروا غدرهم، فارتكبوا أقذع المذابح ضد المسلمين، حيث أباد ستالين أربعة ملايين مسلم، ومن المناسب ذكر نص الوثيقة التي وجهها جوزيف ستالين وفلاديمير لينين بعد شهر تقريباً من انتصار الشيوعية على الحكم القيصري، وهي تحمل بياناً إلى مسلمي روسيا ومسلمي الشرق، فقد جاء فيها: «يا مسلمي روسيا.. يا مسلمي الشرق.. أيها الرفاق.. أيها الأخوة، إن أحداثاً عظيمة تحدث الآن في روسيا.. وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت إليكم يا مسلمي روسيا والشرق، لقد استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأرضكم.. يا مسلمي روسيا ويا تتار الفولجا والقرم، ويا أيها القرغيس وسكان سيبيريا والتركستان، يا سكان القوقاز الأبطال، وقبائل الشاشان، وسكان الجبال الأشداء.. أنتم يا من هُدّمت مساجدكم، وحطمت معابدكم.. ومزّق القياصرة الطغاة قرآنكم، وحاربوا دينكم، وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم.. ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة، إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم، وأن عاداتكم ولغاتكم حرّة لا يمكن المساس بها.. لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها؛ لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية». انظر نص الوثيقة كاملة في كتاب: عمر عبيد حسنة، حتى يتحقق الشهود الحضاري: ٣١٨ – ٣٢١.

٤١ – حول التفسير الإسلامي للتاريخ: ٢٧٢.

٤٢ – الحضارة: ٨.

٤٣ – اسمه الأصلي يتموجين. عن حياته وامبراطوريته انظر كتاب: جنكيزخان.

٤٤ – قراءة التاريخ على مقاس الإيديولوجيات أم رؤية تفاضلية.

٤٥ – إن هذه النظرية قد تشذ عنها بعض الحالات – مع العلم أن الشاذّ لا يقاس عليه – إلاّ أنه وجب التذكير أن التتار المنتصرين على المسلمين هم الذين قلدوا المسلمين المهزومين، وأصبحوا فيما بعد من بناة الحضارة الإسلامية في الهند. لمزيدٍ من التفصيلات حول تقليد المغلوب للغالب في القرن العشرين، ينظر كتاب: حدود النمو. والكتاب تقرير لنادي روما عن المأزق الذي تواجهه البشرية نتيجة الحضارة الغربية وردود فعلها في العالم المختلف، كما يمكن الرجوع إلى حديث المصطفى ﷺ الذي يرويه أبو سعيد رضي الله عنه: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضَبٍ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة (٧٣٢٠)، باب قول النبي ﷺ (لتتبعن سنن من كان قبلكم) وصحيح مسلم، كتاب العلم (٢٦٦٩) باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

٤٦ – الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢٩٨ – ٢٩٩.

٤٧ – وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دعوة الحق: ٥٦.

٤٨ – تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل: ١٨٤. إن الاقتباس الواعي للثقافة الغربية لا بأس به، ولكن الذوبان هو المرفوض، مع العلم أن ما يكون ناجحاً في الغرب ليس بالضرورة أن ينجح في الشرق الإسلامي، وفي هذا يطالب المفكر الجزائري مالك بن نبي البلدان النامية بالابتعاد عن اقتباس مناهج الدول المتقدمة دون تعديل؛ لأن هذه المناهج لا تجدي نفعاً في تربة لم تخلق لها، ويضرب مثالاً بـ ألمانيا وأندونسيا، فألمانيا استعادت بناء اقتصادها في زمن قصير بفضل مشروع شاخت الألماني، في حين أخفقت أندونيسيا بمساعدة المشروع نفسه من تنمية اقتصادها وتطويره على الرغم من عظم الإمكانات في أندونيسيا؛ والسرّ أن مشروع شاخت صمّمَ وفق المناخ الاجتماعي في ألمانيا، وليس وفق المناخ الاجتماعي في أندونيسيا، انظر: الصراع الحضاري في العالم الإسلامي: ٧٤.

٤٩ – وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي: ٥٦.

٥٠ – العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي: ٢٣٩ – ٢٥٢. إن محاولة تشويه تاريخ بلداننا من قبل المستعمر، وتقديم التاريخ الإسلامي بصورة مشوّهة يلحظها الباحث بشكلٍ جليّ في تاريخ معظم البلدان العربية والإسلامية التي خضعت للاستعمار، لمزيدٍ من التفصيل ينظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٧٢ – ٧٤.

٥١ – أخطاء يجب أن تصحّح في التاريخ: ٦٧.

٥٢ – ينظر على سبيل المثال: الإسلام دين الاشتراكية، واشتراكية الإسلام.. إلخ.

٥٣ – من روّاد هذه الحركة الأخوان سيّد ومحمد قطب وغيرهم، والصادق عرجون، ومحب الدين الخطيب، وعمر فروخ، وعماد الدين خليل، وعبد الرحمن الحجّي، وأنور الجندي، وأكرم ضياء العمري، وغيرهم.

٥٤ – خير مثالٍ على ذلك ما قام به الطبري في تاريخه؛ إذ يقول عن منهجه في جمع مادته العلمية: «مهما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستبشعه سامعه، فليعلم أنه لم يؤت من قبلنا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا». تاريخ الطبري: ٥.

٥٥ – التاريخ الإسلامي لماذا المنهج، مجلة الأمة، محرم، ١٤٠٣، ص١٠.

٥٦ – مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب، الجزء الثاني، المفاهيم والأصول. ينظر عرض للكتاب في جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥١٣١ الثلاثاء ١٥/١٢/ ١٩٩٢م، ص٢٢ (وقد صدر الكتاب عام ١٩٩٢ عن المركز الثقافي العربي – بيروت).

٥٧ – التاريخ الإسلامي، لماذا المنهج، مجلة الأمة، محرم، ١٤٠٣هـ: ١١ – ١٢.

ملاحظات حول الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ

المصادر والمراجع

أرمان : أودلف.

– ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها، ترجمة محمد عبد المنعم أبو بكر، وأنور شكري، القاهرة، ١٩٥٢م.

باراكلو : جفري.

– الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة صالح أحمد العلي، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

البخاري : محمد بن إسماعيل.

– صحيح البخاري، المكتب الإسلامي، إسطنبول، د.ت.

برنتون : كرين.

– منشأ الفكر الحديث، ترجمة عبد الرحمن مراد، دمشق، د.ت.

بوكاي : مورسي.

– دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ط٤، القاهرة، ١٩٧٧م.

جلال : حسن.

– الثورة الفرنسية، ط٣، القاهرة، ١٩٥٠م.

جمعة : سعد.

– الله أو الدمار، ط٣، القاهرة، ١٩٧٦م.

الجمل : شوقي.

– علم التاريخ نشأته وتطوره، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.

الجندي : أنور.

– حضارة الإسلام، القاهرة، د.ت.

ابن الجوزي : عبد الرحمن.

– تاريخ عمر بن الخطاب، عمان، د.ت.

الجوهري : إسماعيل بن حماد.

– الصحاح، تح. أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٨٢م.

الحجاج : مسلم.

– صحيح مسلم، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥م.

حسان : حسان محمد.

– وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دعوة الحق، ع٥، ١٤٠١هـ.

حسنة : عمر عبيد.

– حتى يتحقق الشهود الحضاري، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

حسين : محمد محمد.

– الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط٣، بيروت، ١٩٧٢م.

خليل : عماد الدين.

– في التاريخ الإسلامي لماذا المنهج؟ مجلة الأمة تشرين الثاني، ١٩٨٢م.

ديورانت : ول.

– قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧م.

الشرقاوي : محمود.

– التفسير الديني للتاريخ، دار الشعب، د.ت.

الشناوي : عبد العزيز.

– أوربا في مطلع العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩م.

صفا : محمد أسد.

– جنكيز خان، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

طايل : فوزي محمد.

– النظام السياسي في إسرائيل، ط٢، ١٩٩٢م.

الطبري : محمد بن جرير.

– تاريخ الرسل والملوك، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦١م – ١٩٧٦م.

الطويل : توفيق.

– قصة النزاع بين الدين والفلسفة،ط٢، القاهرة، ١٩٥٨م.

عبد الهادي : جمال، ومحمد : وفاء.

– أخطاء يجب أن تصحّح في التاريخ، ط١، دار طيبة، السعودية، ١٩٨٥م.

فشر : هربرت.

– أصول التاريخ الأوربي الحديث، ترجمة زينب عصمت راشد، وأحمد عبد الرحيم مصطفى، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.

قطب : محمد.

– حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ط١، المجموعة الإعلامية، ١٩٨٨م.

لنتون : رالف.

– شجرة الحضارة، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، د.ت.

لوبون : غوستاف.

– فلسفة التاريخ، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار المعارف، مصر ١٩٥٤م.

مندوز : دونيليا.

– حدود النمو، ترجمة محمد مصطفى غنيم، دار المعارف، ١٩٦٧م.

مؤنس : حسين.

– الحضارة، الكويت، ١٩٩٤م.

الهاشمي : طه.

– تاريخ الأديان وفلسفتها، بيروت، ١٩٦٣م.

هوركهايمر : ماكس.

– بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، ترجمة محمد علي اليوسفي، بيروت، ١٩٨١م.

هيز : كارلتون.

– الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية، ترجمة أحمد عبد الباقي، ط٢، بغداد، ١٩٦٢م.